الفكر الإصلاحي في الجزائر ودوره في تحقيق الاجتماع ومحاربة التحزب والافتراق

د. الوكَّال زرارقة

المركز الجامعي أفلو ـ الجزائر

الملخص :

لقد استطاع الفكر الإصلاحي الجزائري خلال القرن العشرين أن يبرز فلسفته التغييرية، ويبين رؤيته في إصلاح ما أفسده المستعمر بعدما شخص الدّاء، وحدّد أسبابه، متخذا من فنون الشعر والنثر سبله ووسائله في إيضاح مأساة الأمَّة وأزماتها وسبل إخراجها من وضعها الكارثي والمتأزم، خاصة ما اتصل بمنظومتها الاجتماعية والثقافية والحضارية.

وقد انطلق الفكر الإصلاحي الجزائري في رحلته العلاجية بالسعي لإعادة الأمَّة إلى لحمتها ووحدتها بعدما استطاع المستعمر أن يشتتها ويفرقها، و محاولة إرجاعها لوجودها بالعلم بعد نجاح عدوها في تجهيلها ممَّا مكنه من أن يستحوذ عليها ويتحكّم فيها وفي مصيرها.

وقد ركَّز العلماء والأدباء المصلحون في رحلتهم الإصلاحية على محاربة الثالوث الخطير المتمثل في الجهل والفقر والفرقة، وقد أخذ موضوع الفرقة والتشتت نصيبا كبيرا من اهتمام الفكر الإصلاحي لخطورة التي يمثلها بالنسبة لكيان الأمَّة ووجودها.

***Abstract*:**

The Algerian intellectual reformation during the twentieth century was able to highlight its transformative philosophy, and reveal its vision to reform what was spoiled by the colonizer , by the diagnosis of the issue , and the clarification of its causes. It took the path of poetry and prose as means to clarify the tragedy of the nation and its crises. And the way to lift it from the underdeveloped catastrophic situation especially in the social, cultural and civilizational fields.

The Algerian intellectual reformation was launched in a therapeutic journey for the sake of seeking and restoring the nation to its bond and unity after the colonizer divided and separated it. the attempts to regain its existence with science after the success of the enemy in making it ignoramus it in a way that made the colonizer own and control the nation's destiny

The reformist writers and scientists have focused on in their journey of reformation on fighting the dangerous trinity of ignorance, poverty and disunity. The theme of the disunity and dispersion has taken a great fraction of their attention of reformist thinking for the danger which by present for the nation and its existence.

تمهيد :

تعرضت الأمة العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى حملة استعمارية غربية استهدفت جسد الأمة وروحها وطبقت سياسة جهنمية سعت من ورائها إلى تغييب الأمة تاريخيا وجغرافيا، وذلك بالعمل على إلحاقها ماديا بجغرافية الغرب واعتبارها امتدادا جغرافيا له، وكذا إلحاقها بتاريخه وهويته. وخلال المدة التي تزيد عن قرن من الزمان سعى المحتل إلى تجريد الأمة من شخصيتها، وطمس معالم هويتها محاولا مسخها وإفراغها من مضامينها، وصبها في قوالب تلائم أهدافه ومخططاته، وتضمن لوجوده الدوام والبقاء والسيطرة والهيمنة .

و من الغايات الرئيسية التي قامت عليها سياسة الغرب الاستعمارية للبلاد العربية والإسلامية، التغريب والاندماج، وللوصول إلى تحقيق هاتين الغايتين كان لا بد عليه أن

يستهدف ركيزتين رئيسيتين من ركائز الهوية العربية الإسلامية وهما اللغة العربية والدين الإسلامي، وقد حرص على تحقيقها ليمكن لنفسه، ويثبت وجوده، ويضمن ويوطد دعائم بقائه، ويجعل من البلاد العربية موطنا تابعا له ماديا وروحيا. فكان الدين الإسلامي الهدف الثاني بعد الوضع السياسي الذي ركز عليه الاستعمار، معتبرا بأنه لا يمكن أن يكون هناك استقرار سياسي إلا بإجراء تحويل ديني إذا لم يكن للمسيحية فليكن إلى الانحلال والتمييع.[1] وقد ظهرت سياسة الاحتلال في محاربة الدين والقضاء على الشخصية العربية الإسلامية من خلال السيطرة على المنابع الحقيقية لهذا الدين خاصة المساجد والمدارس العربية الإسلامية والتحكم في توجيهها، وتشجيع التبشير المسيحي، والانحراف الديني المتمثل في البدع والخرافات.

ومن السياسات القمعية التي عمل الغرب الاستعماري على تطبيقها وحرص على تكريسها ليتمكن من الأمة ويسهل عليه قيادتها هي تكريس سياسة التفقير والتجهيل والتشتيت، ويلخص الكاتب والصحفي " أبو اليقظان " أحد أقطاب الحركة الإصلاحية في الجزائر ذلك في قوله :" لقد تسلط على الأمة عوامل ثلاثة ،لو تسلط عامل واحد منها على أمّه كبيرة، لزعزع ركنها وهدَّ بناءها، ألا وهي الجهل، والفقر، والفرقة . فالجهل أفقدها شعورها بوجودها، وكيف تذب عنه، والفقر أقعدها عن العمل، وشلَّ أعضاءها عن الحركة، والافتراق أذاب قوتها، وذهب بريحها فبقيت والحالة هذه عرضة للتلف والاضمحلال والهلاك. وهي نتيجة طبيعية لتلك الحالة المحزنة التي جرَّ إليها الظلم والاستبداد."[2]

وحتى يتمكن الغرب الاستعماري من تحقيق أهداف مشروعه الاستكباري العالمي عمد بجميع وسائله إلى تفكيك بنية المجتمع العربي الإسلامي وتخريب شبكة علاقاته الاجتماعية المتينة التي شدّ وثاقها الإسلام الواحد، واللغة الواحدة، والتاريخ الواحد، والمصير الواحد، والأمة الواحدة.

وكانت الجزائر البلد العربي الإسلامي جزءا من هذا المشروع الاستعماري للهيمنة عليه وإخضاعه وقيادته وتفكيك عرى وحدته والقضاء على مقومات شخصيته وهويته لمدّة تزيد عن

القرن فمع بداية القرن العشرين " كانت الجزائر قد وصلت إلى هذا المنعرج الخطير في حياتها الدينية والفكرية . عقيدة شوهتها الأضاليل، وتسلّط عليها المستعمر، فجرَّدها من براءتها الأصيلة، وسالف دورها الحفاظي الذي قامت من أجله، وسخرها لأغراضه، وبسط عليها حمايته ورعايته عقيدة جديدة تلبس مسوح التمدن والحضارة، وأوسمة التزكية والتقدير.."[3] وأعتقد المَغْلُبون على أمرهم أن لا دين و لا عقيدة إلا ما جاء به الغرب واعتقده وروَّجه في دنيا الناس.

وأمام هذا الوضع الكارثي الذي وصلت إليه الأمة العربية عامة والجزائر خاصة كانت هناك إرها صات إ صلاحية "تبشر بوجهة جد يدة للحياة الدينية والفكر ية، ود عوة أ صيلة إلى المنبع، واتصال مباشر بالكتاب والسنة، وتطلع نافذ إلى المستقبل.، فقد بدأت المشاعر الصادقة والأماني الوطنية تتجمع وتتحفز في صورة (مدرسة حرَّة) أو (منتدى ثقافي) أو(جريدة وطنية) أو (حلقة علم) خالصة لوجه الله .. "[4] نتج عنها ميلاد الحركة الإصلاحية التي آلت على نفسها إصلاح ما أفسده الاستعمار، وإرجاع الأمَّة إلى منابع دينها، وإلى شخصيتها وهويتها، وإلى وحدتها، والأخذ بها نحو الانطلاقة الحضارية المنوطة بها " تعيد للدين شبابه وحياته، وتنفي عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأو يل الجاهلين، ولتجدد أمره وعر ضه على الناس بعد بلي، ولتعيد للأمَّة حياتها وحيويتها وفعاليتها، بتجد يد تربيتها على مائد ته، وحملها على الالتزام بتعاليمه، واعتصامها بحبله، حتى لا يبقى تدينا وراثيا سلبيا."[5]

موقف الحركة الإصلاحية في الجزائر من التحزب والافتراق

أ ـ موقف الشيخ عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من التحزب والافتراق وسبل علاجهما:

عندما قامت الحركة الإ صلاحية في الجزائر كان منطلقها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح منه تأخذ ومن معينه ترتوي وتتزود، فكان هذا الهدي هو مصباحها الذي يضيء لها الطريق فتستهدي به في ظلمات الا ستبداد العالمي الذي أهلك كل القيم الإنسانية

إشباعا لأطماعه المادية. وقد قامت هذه الحركة ممثلة في جمعية العلماء المسلمين على أساس من الوحدة والاجتماع " وهي تشمل على المصلحين والطرقيين والمالكيين والإباضيين، لم ينظر فيها إلى مذهب دون آخر، ولا إلى طريقة دون غيرها . ولا غاية للمصلحين، ولا أمل لهم غير الاتفاق والإتحاد , نظرا لأنَّ الجمعية جمعية علماء، وهي أقرب الناس إلى الحق، وأعرف الناس بطرق التفاهم."[6] فلقد عمل العلماء المصلحون منذ بداية حركتهم الإصلاحية على جمع جهود جميع المخلصين من الأمة لإصلاح الوضع المأساوي الذي آل إليه الشعب فقد " عملوا منذ البداية على توحيد كل المسلمين الجزائريين، بالتقريب بين المالكيين والإباضيين والبربر بدون تمييز في الجنس أو الأصل أو المذهب بهدف خلق كتلة واحدة تضم جميع السكان الوطنيين."[7] وهكذا فإنّ الحركة الإصلاحية في الجزائر قامت على أساس من وحدة الصف فقد أشارت مبادئها وأهدافها أنها " تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، وتفهم حقائقه، وإحياء آدابه وتاريخه... وتعمل لإحياء اللغة العربية، وآدابها، وتاريخها، في موطن عربي وبين قوم من العرب، وتعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا، وتعمل لتمكين أخوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم، وتذكر المسلمين الذين يبلغهم صوتها بحقائق دينهم ـ وسير أعلامهم، وأمجاد تاريخهم، وتعمل لتقوية رابطة العروبة بين العربي والعربي لأن ذلك طريق لخدمة اللغة والأدب."[8] فالحركة الإصلاحية التي كان يترأسها الشيخ ابن باديس في ثلاثينيات القرن العشرين " اختطت لنفسها طريقا وطنيا يسعى منذ البداية إلى مخاطبة الجميع و إضفاء الصفة العمومية على خطابها الديني و الاجتماعي و السياسي، خاصة عندما أصرَّت على ضرورة استعادة الدين الإسلامي و اللغة العربية من السيادة الفرنسية و تدعيم بهما مقوِّمات الوجود الجزائري ككيان مستقل عن الوجود الفرنسي .فعلى خلاف نظم الزوايا و الطرق و شيوخها، فان الحركة الإصلاحية و رجالاتها وجدوا أنفسهم هم أولى و أحرى من يستطيع أن يتحدَّث عن الإسلام في الجزائر بالعودة إلى الأصل السلفي الذي سبق ظهور الفرق و المدارس و الطرق و المذاهب في سياق تاريخي جديد هو الدولة ذات النظام المركزي الذي يروم التقرب بخطابه إلى الجميع و ليس إلى طائفة أو جهة معينة . و هكذا

فإن جمعية العلماء، مشروع وطني قام على دعوة دينية في الأصل و سياسية من حيث الفعل التاريخي و الحضاري العام في سياق استعماري حاد استحث أكثر المعنى السياسي حتى في قضايا الدين و الاجتماع."[9] وقد كان الخط العام الذي انتهجته الحركة منذ نشأتها هو الإصلاح والتربية والتعليم والبعد عن السياسة بمعناها العام فقد جاء في الفصل الثالث من القانون الأساسي للجمعية " أنَّه يمنع بتاتا كلَّ بحث سياسي، وكذلك كل تدخل في أية مسألة سياسية، داخل نطاق الجمعية."[10] ولعلَّ الهدف من وراء إعلان الجمعية بأنَّها ليست سياسية هو هدفها الوحدوي الذي تريد من خلاله جمع شمل الأمة الذي فرقه الأعداء أحزابا وشيعا، فخارت قوتها، وذهب ريحها . ويوضح الشيخ ابن باديس طبيعة الجمعية وما ينتظر منها وموقفه من السياسة التحزبية في مقال نشره بجريدة الشهاب بعنوان جمعية العلماء كيف يجب أن تكون وما ينتظر منها:" ويجب أن نقول من الآن أنَّ الجمعية يجب أن لا تكون إلاّ جمعية هداية وإرشاد لترقية الشعب من وهدة الجهل والسقوط الأخلاقي، إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق، في نطاق دينها الذهبي، وبهداية نبيها الأمي الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق، عليه وآله الصلاة والسلام، ولا يجوز بحال أن يكون لها بالسياسة وكل ما يتصل بالسياسة أدنى اتصال، بعيدة عن التفريق وأسباب التفريق، وهذا ما نقوله .."[11] فمنهج الإصلاح القائم على أساس الإسلام ومبادئه يضمن سعادة الناس لأنَّه يدعو إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين، ويذكر بالأخوة الإنسانية بين جميع البشر وهو يحدد " تكامل المسلمين في الدائرة الإسلامية، كما حدّد حاجة المسلمين للإنسانية داخل الإطار الإنساني، والحق أنَّ المسلمين بعد اتحادهم وتضامنهم تحت راية الإسلام، لم يعودوا في حاجة إلى البشر."[12] ولذلك فإنَّ العمل التغييري القائم على الحزبية لا يؤدي إلى ماتنتظره الأمَّة من قوة وترابط وتقدّم ورقي بل بالعكس فنتائجه قد تكون عكسية تعصب وتشرذم واختلاف وتأخر وانحطاط، ويتجلى موقف ابن باديس من الأحزاب في كثير من مقالاته وخطبه المستمد من فهمه الثاقب لدينه الذي يدعو إلى الاعتصام بحبل الله المتين ونبذ الفرقة والاختلاف والحرص على الوحدة والأخوة" إنَّ الإسلام عقد اجتماعي عام فيه

كل ما يحتاج إليه الإنسان في جميع مناحي حياته لسعادته ورقيه. وقد دلّت تجارب الحياة كثيرا من علماء الأمم المتمدنة على أن لا نجاة للعالم مما هو فيه إلا بإصلاح عام على مبادئ الإسلام. فالمسلم الفقيه في الإسلام غني به عن كل مذهب من مذاهب الحياة . فليس للجمعية إذا من نسبة إلاّ إلى الإسلام، وبالإسلام وحده تبقى سائرة في طريق سعادة الجزائر والبلوغ بها ـ إن شاء الله ـ إلى أرقى درجات الكمال. وإلى هذا فنحن نشكر ونعترف بالجميل لكلِّ من يؤيدنا في سيرنا نصرة للمظلوم، ومقاومة للجبروت، وخدمة للإنسانية في جميع أجناسها."[13] وربط ابن باديس عمل الحركة الإصلاحية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين بالإسلام " باعتبار أنَّ الدين الإسلامي هو دين شمولي، في أسسه ومبادئه، يتضمن كل جوانب الحياة البشرية، وعلاقاتها الإنسانية ."[14] ويؤكد أنَّ الجمعية لا توالي الأحزاب أو تعاديها وإنما تجاهد نصرة للحق وتؤيده حيثما كان أو وجد وتحارب الباطل من أي جهة حل وأتى " وأزيد اليوم أن الجمعية لا توالي حزبا من الأحزاب ولا تعادي حزبا منها، وإنَّما تنصر الحق والعدل والخير من أي ناحية كان , وتقاوم الباطل والظلم والشر من أي جهة أتى، محتفظة في ذلك كلِّه بشخصيتها ومبادئها، محترسة في جميع مواقفها، مقدرة للظروف والأحوال بمقاديرها."[15] ويوضح ابن باديس أسباب اختياره المنهج الديني الإصلاحي القائم على عملية التعليم والتربية والتهذيب على عملية العمل السياسي الحزبي " إننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها، عن علم وبصيرة وتمسكاً بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النصح والإرشاد، وبثّ الخير والثبات على وجه واحد والسير في خطّ مستقيم، وما كنّا لنجد هذا كله إلا فيما تفرَّغنا له من خدمة العلم والدين، وفي خدمتهما أعظم خدمة، وأنفعها للإنسانية عامة .ولو أردنا أن ندخُل الميدان السياسي لدخلناه جهراً، ولضربنا فيه المثل بما عُرف عنا من ثباتنا وتضحياتنا، ولقُدنا الأمّة كلها للمطالبة بحقوقها، ولكان أسهل شيءٍ علينا أن نسير بها على ما نرسمه لها، وأن نَبْلغ من نفوسها إلى أقصى غايات التأثير عليها، فإن مما نعلمه، ولا يخفى على غيرنا أن القائد الذي يقول للأمّة: " إنّك مظلومة في حقوقك، وإنّني أريد إيصالكِ إليها"، يجد منها ما لا يجد من يقول لها: "إنّك ضالة عن أصول دينك، وإنّني أريد هدايتَك"، فذلك تلبِّيه

كلها، وهذا يقاومه معظمُها أو شطرُها. وهذا كله نعلمه، ولكنّنا اخترنا ما اخترنا لما ذكرنا وبيَّنا، وإنّنا ـ فيما اخترناه ـ بإذن الله لَمَاضون، وعليه متوكّلون."[16] ويرى ابن باديس أن البديل الحقيقي للأمة عن السياسة الحزبية هو العلم فقد آمن بأن " العلم هو، وحده، الإمام المتبع في الحياة، في الأقوال والأفعال والاعتقادات."[17] والعلم في نظره هو السبيل الوحيد لتغيير النفوس وجعلها مهيئة لتغيير واقعها لا التغيير الذي تتصارع فيه القوى السياسية " إننا في وقت يجب فيه علينا أن نطلب العلم والمعرفة لذاتهما ولمشاركة العناصر الحية في الحياة، وأن نمرن النفوس على حب التضحية والبذل والتعاون في سبيل تثقيف عقول فلذات الأكباد، وهذا من أوكد الواجبات الآن، ومن شاء الشهرة في الوطنية والقومية فليدخل إليها من باب ترقية أفكار الناشئة ودعوة الآباء إلى ما يوجبه عليهم الإسلام أ وتفرضه عليهم تعاليمه السامية."[18] والعلم في فلسفة الحركة الإصلاحية التي قادها ابن باديس هو محرك قاطرة الأمة والباعث الحقيقي لحركيتها ونشاطها وحياتها مادام أنه على نهج الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح من هذه الأمة " ولا أدل على وجود روح الحياة في الأمَّة وشعورها بنفسها، ورغبتها في التقدم من أخذها بأسباب التعليم، التعليم الذي ينشر فيها الحياة، ويبعثها على العمل، ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الإنساني ويظهر كيانها بين الأمم."[19] لقد سخَّر الشيخ ابن باديس كلَّ الوسائل الشرعية وكلَّ نشاطانه خدمة لغاية الوحدة والاجتماع والأخوة والاتحاد فاتخذ من "المساجد والنوادي والساحات والأسواق منابر، يدعو الناس فيها إلى التعارف والتعاون والوحدة، مؤكدا على ما يوحد القلوب، ويجمع الصفوف، والإعراض عن كل ما يشتت ويفرق، وذلك في جميع شؤون الحياة المادية والروحية، وقد عبَّر عن هذه الحقيقة التي جعلها شعاره ومبدأه في معاملة الناس بقوله :" ... إنَّ هذا العبد له فكرة معروفة، وهو لن يحيد عنها ولكنَّه يبلغها بالتي هي أحسن، فمن قبلها فهو أخ في الله، ومن ردَّها فهو أخ في الله، فالأخوة في الله فوق ما يقبل وما يردّ."[20]

ب ـ الخطة التغييرية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي في تحققيق اجتماع الأمة وموقفه من التحزب:

أمّا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أحد أبرز أقطاب الحركة الإصلاحية في الجزائر فيقف من التحزب والتفرق موقفا عدائيا ويرى أن الواقع الكارثي الذي كان يعيشه شعبه وأمته لا مخرج له إلاّ **الاجتماع** أي الوحدة لما لذلك من فوائد وثمار فالأمة المتفرقة المتخاذلة لا تصنع نهضة ولا تحقق وجودا " ومن ثمرات الاجتماع ما تقرأونه في التاريخ من تغلب جماعات قليلة العدد قليلة المال على جماعات هي أكثر منها عددا وأوفى مالا- نعم إن فوائد الاجتماع لا تحتاج إلى بيان – فالاجتماع يحدث عن نفسه باللسان الفصيح – وآثار الاجتماع هي الحقائق العريانة – والشواهد الناطقة . فلئن تحدثنا في فوائد الاجتماع فإنما ذلك من باب التذكير والتنبيه، ولم يزل التذكير في كل أطوار الإنسانية مددا روحانيا يثير الخامل إلى العمل ويحث العامل على مواصلة العمل."[21]

ويرى أنّ الاجتماع الحقيقي للأمة هو الاجتماع المنتج الذي يجب أن تسعى إلى تحقيقه وإيجاده على أن يلائم حياتها العامة في عمومياتها وحياتها الخاصة في خصوصياتها فلا تفتحا مفرطا ولا تعصبا قاتلا " نحن لا نحتاج إلى بيان فوائد الاجتماع فقد أصبحت من البديهيات المسلمة، وإنما نحتاج في الدرجة الأولى إلى تكوين اجتماع حيوي منتج يتفق مع الحياة العامة في العموميات، ويلتئم مع حياتنا الخاصة في الخصوصيات."[22]

وهذا الأمر يحيلنا إلى حقيقة فهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي للمحافظة والتعامل مع الآخر فلكل أمة خصوصياتها التي هي أس حياتها وجوهر بقائها. ووجدنا هذه الحقيقة في خطبته التي أبّن من خلالها محمد بن أبي شنب " ذلك أن الرجل محافظ، والمحافظة ألزم ما يكون لنهضة كنهضتنا لم تزل في طور الاختمار تتجاذبها العوامل الخارجية أكثر مما تكيفها الضرورات الداخلية فنحن أحوج ما نكون في هذا الموقف إلى محافظة مهذبة تسايرنا في أطوار الانتقال

وتكون لنا قنطرة نعبر عليها من قديمنا إلى الصالح الذي ننشده، وتقينا شر الذبذبة التي هي وليدة الفطرة."[23]

وتتجسد حقيقة المحافظة في فكر الإبراهيمي من خلال شخص ابن شنب الذي يراه أنموذجا حيا في ذلك " الرجل كان محافظا حقا ولكنه محافظ بالمعنى المعقول محافظ البصير الناقد الذي يرى أنّ مشخصات الأمم منها جوهر ومنها عرض وأنّ الجوهر منها هو الصالح للبقاء وأنّه لا بد للفرد ولا للجماعة في تكييفه كما يشاء أو كما تشاء وأن تطوره موكول إلى تدبير الاجتماع لا إلى تدبير الجماعات- وأن العرض منها هو محل التبديل والتغيير يصلح لزمن فيرخذ ولا يصلح لآخر فينبذ, فالمحافظة على جوهر المقومات ليست محافظة وإنما هي حفظ للقومية من الاندغام والتداخل وعماد لها أن تتداعى وتسقط. وأمّا الأعراض فهي قشور تتحول وتزول فهي كأوراق الخريف توجد وتعدم والشجرة شجرة."[24]

وهو لا يرى في واقع أمته وجود اجتماع منتج لأن الأمة أصبحت تابعة لحياة عامة فرقتها شعوبا وقبائل ولن تستطيع هذه الحياة العامة أن توحد المجموعة البشرية في مظاهر حياتها في ميولها وأهوائها وعواطفها ومشاربها ونزعاتها لأن إرادة الحي كما يرى الإبراهيمي غير إرادة الحياة" فالحي بصفته فردا يريد أن يحتفظ لنفسه بحق الاستئثار بقسطه الخاص من الحياة – وبصفته فردا من أمة يريد أن يحتفظ لنفسه بحق تكوين اجتماعه كما يريد."[25]

فحاجة الأمة في رأي الشيخ الإبراهيمي هو أن تسعى إلى تكوين اجتماع خاص تنتج عنه نهضة في جميع لوازم حياتها القومية وبحصر هذه اللوازم في أربع: الدين – الأخلاق – العلم – المال فإذا استطاعت ذلك حق لها أن تتفق مع الحياة العامة فتنجو من التبعية، وتلتئم مع حياتها الخاصة في الخصوصيات فتحقق وجودها الخاص بها وتحافظ على أصالة كيانها المميز لها.

وأول لازم من تحويل الأمة من التخلف إلى النهضة ومن التشتت إلى الوحدة والاجتماع هو الدين الذي يشكل ركنا أساسيا من أركان النهضة العربية الإسلامية لكن أي دين يقصده

الإبراهيمي؟ "إنه دين الفطرة وأنّه لا يرجع في أحكامه إلاّ إلى النص القطعي من كتاب محكم أو سنة عملية متواترة وأنّ كلّ ما ألصق بالدين من المحدثات فهو بدعة يجب اعتبارها ليست من الدين وإن تراءت في صورة ما يقتضبه الدين."[26]

ولذلك وجدناه في حديثه عن دعوة جمعية العلماء المسلمين وغايتها يركز على هذا اللازم الذي عدّه غاية شريفة على الجمعية أن تحققها إلى جانب غاية إحياء مجد اللغة العربية " فأمّا إحياء مجد الدين الإسلامي فإقامته كما أمر الله أن يقام بتصحيح أركانه الأربعة العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق فكلكم يعلم أنّ هذه الأركان قد أصبحت مختلة وأنّ اختلالها أوقعنا فيما ترون من مصائب وبلايا وآفات."[27] ويرى بأن هذا اللازم لا يمكن إقامته إلاّ بتطهير العقيدة مما شابها من خرافات وبدع ومعتقدات باطلة وتعزيز النفوس وإغنائها بالآثار الجميلة التي هي الباعث الأكبر على الكمال الروحي والعودة إلى تحكيم أحكام الدين والالتزام بأوامره والانتهاء عن نواهيه. ويرى أنّ البعد عن الاحتكام إلى الدين أدّى إلى اختلال عام على المستوى الفردي والجماعي فانفرط عقد المجتمع وتشتت"فانتهكت الحرمات واستبيحت المحرمات وتفككت روابط الأسرة الإسلامية وقطعت الأرحام وتعادى المسلمون وتباغضوا وتنكر الأخ لأخيه - وضعف الوازع الديني الذي يهيء النفوس للانطباع بطابع واحد فأصبحت مستعدة للتكييف بما يقبح وما يحسن- ثم غلب ما يقبح على ما يحسن فخرجت الفضيلة الإسلامية من عقل المسلم ومن نفسه وحلت محلها الرذيلة."[28] ويرى الشيخ أنّ ما زاد هذا الاختلال حدّة وتعفنا التواجد الأجنبي في مجتمعنا بما جاء به من عادات وأخلاق خاصة به، فسهل عليه بسط سياسته ونفوذه لأنّ أجواء الأمة كانت مهيئة لذلك ووجدت عاداته وأخلاقه " السبيل ممهدا ووجدت نفوس المسلمين عورات بلا مدافع ولا محام فتمكنت فيها ومكنت لغيرها والشر يعدي وكان من نتائج ذلك ما ترون من انحلال وتفكك."[29]

ولأهمية لازم إقامة الدين في الأمة يدعوا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى:

1- تقريب حقائق الدين من أذهان الأمة على السنة الأولى في نشره وهي الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

2- إقناع الأمة بأنّ هذا الدين هو دين عملي.

3- وجوب الرجوع في طريق الاستدلال على العقيدة إلى طريقة القرآن.

4- التعامل في الدين بناء على مراعاة مصالح البشر ونظام اجتماعهم العمراني " وأنّ الأنسب لسماحة الدين وبقائه وصلاحيته لكل زمان ومكان أن يكون للزمان والمكان والعرف والعادة وللبيئة مدخل في تكييف أحكام المعاملات وتطبيقها على الحوادث الجارية. وأنّ التاريخ شهد بأنّ أسلافنا كانوا يراعون هذا المعنى في إدارتهم الإسلامية وفي سياستهم للشعوب الأخرى."[30]

ويرى بأن تحقيق لازم الدين في اجتماع الأمة ونهضتها ملازم ومرتبط بسعي الأمة في نشر لغتها العربية التي هي لغة الدين ولغة الآداب القومية ولغة التاريخ القومي وكذلك نشر التاريخ الإسلامي الصحيح بلغته المتضمن للثقافة العربية الإسلامية. وقد أخذ موضوع اللغة العربية اهتماما واسعا في السياسة الإصلاحية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي من خلال خطبه ومقالاته المنشورة في مجلة " الشهاب" فهو يجعلها غاية شريفة بعد غاية الدين في أهداف جمعية العلماء المسلمين التي تعمل جاهدة على إحياء لسانها لأنّه " لسان هذا الدين والمترجم عن أسراره ومكنوناته – لأنه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية الإلهية العامة للبشر كلهم – لأنه لسان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم صفوة الله في خلقه والمثل الأعلى لهذا النوع الإنساني الذي هو أشرف مخلوقات الله – ولأنّه لسان تاريخ هذا الدين ومجلي مواقع العبر منه، ولأنه قبل ذلك وبعد ذلك لسان أمة شغلت حيزا من التاريخ بفطرتها وأدابها وأخلاقها وحكمها وأطوارها وتصاريفها في الحياة ودولها في الدول وخيالها اللامع الخاطف الذي هو أساس فنها."[31]

ولخطورة اللغة في الاجتماع البشري وما ينتج عن إهمالها من أبنائها وما يخلفه ذلك من آثار خطيرة على وجود الأمة، فإنّ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يرى في إضاعتها إضاعة للدين الذي هو اللازم الأساس للاجتماع والنهضة وكذلك إضاعة للتراث والتاريخ، لأنّ اللغة كما يرى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي " هي المقوم الأكبر من مقومات الاجتماع البشري وما من أمة أضاعت لغتها إلاّ وأضاعت وجودها واستتبع ضياع اللغة ضياع المقومات الأخرى."[32] فإحياء اللغة العربية والاهتمام بها لازمة لإحياء الدين ومن ثمة إحياء الفضيلة في النفوس والتمتع بالحياة كما أراد الله.

أمّا اللازم الثاني بعد لازم الدين في بناء اجتماع الأمة ونهضتها فهو الأخلاق، وقد استمد الإبراهيمي هذا اللازم من دينه الإسلامي بدلائله وأصوله " وهي أنّ الأمم لا تقوم ولا تحفظ وجودها إلاّ برسوخ الأخلاق الفاضلة في نفوس أفرادها."[33] فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ودعا الأمة إلى القيام بهما لأنّه دين اجتماع وعمران وحياة وبقاء. وتركيز الإبراهيمي على هذا اللازم لأنه لصيق بلازم الدين فهي شعب الإيمان وكذلك لما رآه من انتشار المبادئ العاملة على هدم الأخلاق الفاضلة الخيرية وكثرة الأذواق المتطرفة التي تستمرئ الرذيلة على الفضيلة، ولما رآه من اختلال في الخلق لدى الأمة وما جرّه عليها من بلاء مبين.

ولعلاج اختلال الأخلاق في الأمة لتصبح صحيحة أخلاقيا وتكون قادرة على بناء الاجتماع والنهضة يرى محمد البشير الإبراهيمي " أنّ هذه الناحية من أمراضنا أيسر معالجة من جميع النواحي إذا أحسنا تسيير الجهود الفردية في التربية المنزلية لأنّ لنا أساسا نبني عليه ولا يعسر جد العسر أحياؤه وهو الأخلاق الإسلامية المتوارثة في الجملة والتي معظمها في القرآن في أوضح عبارة وأوضح بيان ثم الأخلاق العربية المأخوذة من آدابهم التي هي أنفس ما خلفوه لنا من التراث.

فإذا تمكن بالتدريج من قمع هذه الجرائم الأخلاقية التي أفسدت مجتمعنا وتكوين أفق أخلاقي صالح نكون قد جنينا من اجتماعنا شيئا هو ثمرة الثمرات وفائدة الفوائد."[34]

أمّا اللازم الثالث في خطة الإبراهيمي التغييرية في المجتمع والأمة لتحقيق اجتماعها ونهضتها فهو العلم، فلا نهضة ولا اجتماع بدونه ولذلك سعت الحركة الإصلاحية في عمليتها التغييرية على ترسيخه في أرض الواقع وتجسيده بما يحقق للأمة مبتغاها، ويوصلها إلى أملها من مسعاها، وبدأ ذلك يتجسد في الناشئة الذين كانوا بمثابة تباشير صبح النهضة الجديدة الذين فتحت لهم الحركة الإصلاحية فرص التعلم لأنها رأت أن البقاء في هذا المعترك الحياتي الدنيوي هو للأنسب ولا يكون هذا الأنسب إلاّ بالعلم، ويرجع الإبراهيمي أن تأخر الأمة هو بعدها عنه، فحقيقة وواقع الأمة خير شاهد على ذلك فهي في مِؤخرة الأمم، وبدلا أن تكون متبوعة فهي تابعة . ويكبر أمل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في تحول الأقوال إلى أفعال والآمال إلى أعمال فيما رآه يتجسد في جمعية العلماء المسلمين في اهتمامها بهذا اللازم وإقامته " أيها الإخوان الكرام : إنني لم أر مثلا أضربه لجمعيتكم هذه وهي لم تزل في المهد إلاّ شيئا نسميه تباشير الصبح – هو تلك اللمع المتفرقة من النور في الشرق قبل أن ينشق عمود الفجر – يرتاح لها الساري في ظلمات الليل لأنه يرى فيها العنوان الصادق على قرب الخروج من المعاسف والخبط في مضلات السبل. ويرتاح لها المهموم الساهر الذي يبيت يراعي النجوم لأنه يرى فيها متنفسا وسببا لسلواه وإن لم تكن حدّا لبلواه، ويرتاح لها المقرور الشاتي لأنّه يرى فيها مخايل من آية النهار. ويرتاح لها الناسك لأنّه يسمع فيها الدّاعي المثوب بعبادة ربه، ويرتاح لها الشاعر لأنّه يرى فيها مسرحا لخياله وأفقا لروحانيته، ويرتاح لها العامل الملتذ بعمله لأنّه يرى فيها الأمارة المؤذنة بقرب وقت العمل ."[35]

فهذا الخطاب يكشف ما للعلم من أهمية في حياة الأمة الدينية والدنيوية، كما يكشف لنا الواقع الذي تعيشه الأمة من عتمة الجهل وديا جير التخلف والضلال وأسر الهموم ومخالب البطالة والانكسار وهذه الأمراض والأسقام لا علاج لها إلا إذا انتهجت الأمة سبيل العلم.

لكنّ العلم في نظر محمد البشير الإبراهيمي لا يمكن للأمة أن تحققه في واقع حياتها إلاّ عن طريق المال الذي هو اللازم الرابع الذي وضعه الإبراهيمي لاجتماع الأمة ونهضتها " وغاية ما نبني عليه الأساس في هذا الباب هو هذا الشعور الذي نشاهده في جميع طبقاتنا وأوساطنا بلزوم العلم وهذه الرغبة المتأججة في صدور الناشئين منا للعلم ودوننا في الوصول إلى القدر الصالح من عقبات أكبرها فقدان المال فلو اجتمعنا وتظاهرنا وملأنا الدنيا أقوالا لما أفدنا ذلك من العلم قليلا ولا كثيرا بدون مال."[36] فالعلم في نظر الإبراهيمي قرين المال وأخوه في تكوين الحضارة الوقتية تفيد المزاحمة فيه ولا تضر وللوصول إليه لا بد للأمة أن تتخذ الأسباب المؤدية إليه بالاحتفاظ والاستثمار، واتباع كل ما يؤدي إلى نموه وإكثاره، فلا قيمة للأمة بين الأمم الغنية المعتزة بغناها إذا لم يكن لها قيمة مالية في السوق العالمية الكبرى.

هذه بعض معالم وملامح الخطة التغييرية الإصلاحية التي دعا إليها محمد البشير الإبراهيمي وعمل على ترسيخها وتجسيدها في واقع أمته، وسعى من خلالها إلى مقاومة ما كانت الأمة تتعرض إليه من تفرق وجهل وفقر وتخلف وإبعاد وتهميش، والعمل على إرجاعها إلى طبيعتها الريادية كما أراد الله لها ذلك تحمل شعار الخيرية للعالمين .

لقد وقف محمد البشير الإبراهيمي على واقع الأمة فشخص المرض وحدد السبب ووصف العلاج المتمثل في :

1- الرجوع إلى الدين الصحيح، دين السلف الصالح المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

2- الرجوع إلى الأخلاق الفاضلة الطاهرة .

3- السعي الجاد والصادق في طلب العلم والانقطاع والإخلاص له والصبر عليه لأنّه ضرورة للاجتماع والنهضة والعزّة والبقاء.

4- العمل والإنتاج لتحقيق الكرامة والسيادة وعدم الرضوخ للغير.

ونتيجة لما فقهه محمد البشير الإبراهيمي عن خطورة التحزب في تشتيت قوة الأمة وهدر قدراتها وتركها تتخبط في وحل التخلف والتبعية وما تسببه من حواجز في طريق نهضة الأمة فقد دعا إلى نبذها والابتعاد عنها "أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التي نَجَمَ بالشّر ناجمها، وهجم ـ ليفتك بالخير والعلم ـ هاجمها، وسَجَم على الوطن بالملح الأُجاج ساجِمُها، إنّ هذه الأحزاب كالميزاب، جمع الماء كَدَراً وفرّقه هَدَراً، فلا الزُّلال جمع، ولا الأرض نفع."[37] وهو إذ يدعو إلى نبذ التحزب لأنّه يعرف بأنَّ طريق النهضة والتغيير سبيله العلم وليس المهاترات السياسية والجدالات الحزبية التي لا تجني الأمَّة منها إلا التنافر والاختلاف والبعد عن السبيل القويم الذي رسمه الله للعالمين "وفي باب الأعمال لم نر منهم إلا عملا واحدا، هو الذي سميناه:جناية الحزبية على التعليم والعلم .هؤلاء القوم قطعوا الأعوام الطوال، في الأقوال والجدال، وجمع الأموال، وتعليل الأمّة بالخيال، ومجموع هذا هو ما يسمونه سياسية و وطنية ... كثرت مواسم الانتخاب حتى أصبحت كأعياد اليهود، لا يفصل بعضها عن بعض إلا الأيام والأسابيع، وكان ذلك كله مقصودا من الاستعمار، لما يعلمه في أمّتنا من ضعف، وفي أحزابنا من تخاذل وأطماع، وفي مؤسساتنا ومشاريعنا العلمية من اعتماد على الوحدات المتماسكة من الأمّة، فأصبح يرميهم في كل فصل بانتخاب يوهن به صَرْح التعليم، ويفرّق به الجمعيات المتراصّة حوله، والتعليم هو عدو الاستعمار الألدّ لو كان هؤلاء القوم يعقلون ." فالتحزب في نظره وسيلة من وسائل أعداء الأمة لإبقائها على تخلفها وفقرها وجهلها فتبقى تابعة لا وجود لها في دنيا الناس مكرسة للانقسام والنعرات الحزبية التي لا طائل منها إلاّ الفرقة والاختلاف " ولو أنّ مدارسنا

اشتدت أصولها، وامتدت فروعها، وكانت تأوي في الجانب المالي إلى ركن شديد، وترجع في الجانب العلمي إلى رأي رشيد، لكان وبال هذه النعَرات الحزبية الشيطانية راجعا إلى أصحابه وحدهم ... هذه إحدى جنايا الحزبية على التعليم، زيادة على جنايتها على الأخوة والمصلحة الوطنية العامة."[38]

ج ـ موقف الشيخ الطيب العقبي من التحزب وبديله في ذلك :

أمَّا الشيخ الطيب العقبي وهو من أبرز رجالات الإصلاح في الجزائر فيؤكد ما رسمته الحركة الإصلاحية في نهجها التغييري وخطها الإصلاحي القائم على إحياء الأمة على أساس كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) باعتماد وسيلة التعليم والتهذيب والتوعية والإرشاد، ومحاربة كل ما يقف حاجزا أمام تحقيق هذه الغايات العظيمة للأمة بما في ذلك الوسائل السياسية الحزبية فهو يؤكد أنَّ الدعوة الإصلاحية " هي دعوةٌ دينيَّةٌ محضةٌ، لا دَخْلَ لها في السياسة البتَّةَ، نريد منها تثقيف أمَّتنا وتهذيب مجتمعنا بتعاليم دين الإسلام الصحيحة، وهي تتلخَّص في كلمتين: أن لا نعبد إلاَّ الله وحده، وأن لا تكون عبادتنا له إلاَّ بما شرعه وجاء من عنده."[39] وهذه النظرة العميقة لحقيقة الإصلاح والتغيير هي الحل لمشاكل وأزمات المجتمع الإسلامي والمجتمع الإنساني بينما التغيير على أساس الحزبية فهي نظرة ضيقة محدودة الأفاق، محفوفة بالمخاطر، مجهولة العواقب.

د ـ موقف الشعراء المصلحين في الجزائر من التحزب والافتراق:

وهذه الأفكار الإصلاحية التي وقفت موقف الرفض والعداء من التحزب والتفرق وبينت مخاطرهما على حاضر الأمة ومستقبلها جسّدها شعراء الإصلاح في الجزائر الذين بينوا واقع التفرق والتشتت وعدم الوحدة بين أبناء الوطن الواحد بفعل سياسة الاحتلال التي انتهجها منذ غزوه للجزائر عام 1830م "**فرّق تسد**" ومنهم الشاعر "**محمد السعيد الزاهري**" الذي يتحسر على هذا الواقع المرير :

ويح الجزائر كم تعض على الجزا ~ ئر من حـــوادث يعترين شداد
كلّ الشعوب تبيت فيمـا تشتهي ~ و يبيت شعبي في ضنى و سهاد
و بنو الجزائـر بعـد ذلك لم يزا ~ لوا اليوم بين خصومة و تعادي
يبغون توحـيد العقول،و دون ~ توحيد العقول توحد الأجساد
تكفي الجزائر جامعًا لشتات هـ ~ ذا الشعب من فرق و من أفراد[40]

و تعجب الشاعر "**حسن وارزقي**" من مرض الفرقة الذي أصاب الأمّة و تنبأ بعواقبه السيئة عليها و دعاها إلى الإتحاد لأنّه هو سبيل قوتها و عزّها و مجدها:

هذه أبطـالنا فـــي فـــرقة ~ لا تـــزال كلّ يوم في إزدياد
هل إذا ما دام هـــذا فيـــهم ~ ليس يأتي ما أتي في قوم عاد
قد كفى ياقوم ممّـا جـرى ~ إن أردتم قرب ساعات الوداد
فاستنيروا قد بدا نجم الهدى ~ لن تنـالوا العزّ إلاّ باتحاد[41]

و يقف الشاعر "**أحمد بن سحنون**" باكيًا متفجعًا على حالة الوطن و الشعب وما يتحملانه من مآسي و أحزانٍ كسابقيه:

ويح الجزائـر كـم ذا ~ تلقى من الحرمـان
قضت زمانًا تعـاني ~ من الآسى ما تعاني
قد جرعت كلّ صابٍ ~ مـن السيـاسة آن
و حملت ثقـل قيـدٍ ~ يعي به الثقلان[42]

كما يقف "**محمد العيد آل خليفة**" هو كذلك متحسرًا على الشعب بسبب داء الفرقة والتشتت و يشخص الحالة التي آل إليها بفعل السياسة الاستعمارية المنتهجة ضده:

ما عسى يدفع الأســى ~ طارقًا بالأذى طـرق؟
ما عسى ينفع الأســى ~ أمّة شملـها افتـرق؟

ويح شعـــب معـذبٍ ~ قد فنى صبـــره و رق
من الحيران في الدجى ~ مســه الضـر و الأرق
يخبط الليــل سـاريًا ~ متعبًا عمـــه العــرق
يسأل الحــق خائـــفًا ~ فعل من خان و استرق
كيف يرجو الهدوء من ~ بـث في الأمة الفــرق[43]

و ينتقل بنا الشاعر الإصلاحي أحيانًا من التفجع و البكاء إلى تجلية سبل الخروج من الواقع المر الذي يعيشه الشعب و بث روح الأمل، و التغلب على نزعة اليأس والتشاؤم، و مواجهة روح التقاعس و التخاذل و هذا ما يبرزه "**محمد العيد**" في قصيدة له بعنوان "**ما أنا يائس**":

كما شئت فامطل يازمان ببغيتي ~ أو أبخـــل بها عني فما أنا يائس
أتحسب أنّي للحـــوادث راضـخٌ ~ و أنّـــي منها جازع القلب يائس
سيأتي زمان للجزائـر زاهـــــرٌ ~ يطيب الجنى فيه و تنمو المغارس
فرُح غير ما سوف عليك فعندنا ~ وراءك خيــرات لنا و نفائس[44]

و ركز شعراء الحركة الإصلاحية على سبل التغلب على الواقع السياسي للشعب و الدعوة إلى إصلاحه، ومن القضايا التي كان عليها التركيز الدعوة إلى الوفاق و الوحدة بين أبناء الأمّة الواحدة لأنّه لا يمكن تجاوز المحن والمصائب وسياسة البغي والاضطهاد، والأمة متفرقة وممزقة وهذا ما دعا إليه الشاعر "**عمر بن بسكر**":

أيا أخوة الإسلام رفقا بنا رفقـــا ~ فحالتنا رق لهـــا الجماد رقـــا.
وهل بعد هذا الشت شت مؤمـل ~ فإن صحّ ذا يـــارب ما بعده نلقى
و لم أر في التاريخ مثل عصابة ~ أرقًا سعوا فيمـــا يزيـــدهم رق
افيقوا ايها الإخوان من سكراتكم ~ لموجب جمعٍ لا لما يوجب الفرق[45]

و يناشد "**محمد العيد**" أبناء وطنه إلى وجوب الصلح بعد ما اشتكى تفرقهم لأنّ في الصلح حماية للشعب أمام الهزات و المؤمرات التي يتعرض لها:

بني وطني أشكو إليكم تفرقًا ~ قطعتم به للشعب عدّة أوصال
و حكمتم الأهواء فيه فلم يزل ~ لقى بين أهواء تجيش و أهوال
أناشدكم يا قوم بالخالق الذي ~ توحد في ذات و وصف و أفعال
و بالملّة الحسنة التي جمعتكم ~ بقـــاعدة التـوحيد منذ أجيال
و بالوطن الباقي على الدهر وحده ~ لكم وحدكم ذكرى سراة و أقيال
بأن تذرأوا بالصلح كلّ تفرق ~ عليكم و تحموا الشعب من كلّ زلزال[46]

كما دعا "**أبو اليقظان**" في قصيدة له بعنوان "**هذي الجزائر**" القاها في إحدى جلسات الإجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين إلى ضرورة تنظيم الصفوف و رصها لما في ذلك من تحقيق للأهداف الإصلاحية لواقع الشعب و السير به نحو واقع أفضل:

يا صـائغيـــن مـــن الجزائـر أمّة ~ تبغي لها فوق السماك قصـورا
روضوا النفوس على الوئام و ألحموا ~ صدع القلوب وافعمـوها نورا.
سـووا الصفوق ونظمــوا وحدتــها ~ إن رمتـــم حقًا لـــها التقـدير
سيـــروا علــى نهج الكتـاب و سنّة ~ المختار تجزوا جنّة و حريرا[47]

كما يدعو الشاعر "**عثمان بن الحاج**" في قصيدة له بعنوان "**نحن و الربيع**" إلى نبذ الشقاق و الفرقة ووجوب التمسك بالوحدة لأنّ الشقاق معطبة و التوحد مغلبة:

بني الجزائر ما هـذا الشقاق؟فكم ~ جرَّ الشقاق لكم يـا قوم من عطب
ألستموا إخوة و الديــن يجمعكم ~ و الجنس يربطكم مع لحمة النسب
أبوكم الدين و الأوطـان أمكــم ~ فراقبوا الله فـــي أم لكـــم و أبٍ
كونوا يدًا في سبيل الله و اتحـــدوا ~ كم فاز متحد بالظفــر و الغلـب

و قاوموا الجهل إنّ الجهل مهلكة ~ و قاوموا الفقر بالجـدِّ و الدأب[48]

و يحذر الشاعر "**مبارك بن محمد بن جلواح**" من عواقب التفرقة والخلف ويذكر كسابقه بعوامل الوحدة التي تجمع أفراد الشعب والمتمثلة في العروبة و الإسلام:

بني الجزئر مـــاذا الخلـــف بينكـــم ~ و أنتم إخوة في الديـــن و النســـب
الخير أن تحســـوا ذا الخلـــف بينكم ~ ماكان في الخلف غيرالويل والحرب
ما كان في ملّة الإســـلام من طـــرق ~ و لا بعائلة الإســـلام من عصـــب
فاسعوا لمـــجدكم لا تشتكـــوا نصباً ~ فالمجد يدرك بعد الســعي و النصب
و احموا حمى الدين و ارقوا في الأنام به ~ فإنّه أصـــل كلّ المجـــد و الغلب.[49]

و يتغنى الشاعر "محمد الهادي السنوسي" بروح الوحدة و الوفاق التي جمعت الجزائرين في المؤتمر الإسلامي حول مطالب واحدة لاسترجاع الحقوق، و الوقوف أمام سياسة التماطل التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية في الاستجابة لانشغالات الشعب:

وطني انظر ترى الأخوة فيـــهم ~ ذات روح تبدو صفاء و وِدا
أجمعوا أمرهم على الخطة المث ~ لـــى و ردوا الأمور لله ردّا
في هوى مبدإ القضيـــة لا يـلـ ~ ويـهم الضر أو ينيلوك حمدا
كلّما أبصروا نزوعًا إلـى الشحـ ~ ناء صدوه بالحصافة صدا[50]

خاتمة:

لقد استطاعت الحركة الإصلاحية في الجزائر أن تشخص داء التفرق والتحزب وتبين أسبابه وتصف العلاج له والمتمثل في :

1 ـ رجوع المسلمين إلى عقائد الإسلام المبنية على العلم، وفضائله، المبنية على القوة والرحمة، وأحكامه المبنية على العدل والإحسان، ونظمه المبنية على التعارف بين الأفراد والجماعات والتآلف والتعامل والتعاون.

2 ـ الرجوع إلى كتاب الله فقها وفهما وعملا، لأنَّه الكتاب الذي أخرج أمَّة العرب من ظلمة الجمود إلى نور التفكير، ومن ظلمة الوحشية إلى نور المدنية والتحضر، ومن ظلمة الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمة الفوضى إلى نور القانون والنظام، ومن ظلمة العصبية والانقسام إلى نور الوحدة والوئام.

3 ـ إحياء مجد اللغة العربية، لغة الدين والجنس والقومية، فهي التي خدمت الدين والعلم والمدنية الإنسانية .

4 ـ الدعوة إلى العلم والاهتمام به لأنّه الإمام المتبع في الحياة، في الأقوال والأفعال والاعتقادات وأساس من أسس النهضة، وسبيل من سبل إصلاح الأمَّة، ولن تصلح الأمَّة إلاَّ بصلاح علمائها، ولن يصلح علماؤها إلاَّ إذا صلح تعليمها، ولن يصلح تعليمها إلاَّ إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه، وفي مادته وصورته . وأن يكون التعلم والتعليم مبنيا على التفقه بالقرآن والسُّنَّة.

5 ـ التمسك بالفضيلة لأنّ الأمم لا تقوم ولا تحفظ وجودها إلاّ برسوخ الأخلاق الفاضلة في نفوس أفرادها، فتضمن قوتها المادية والروحية، و تحصن مناعتها الفردية والجماعية.

الهوامش :

[1] أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، 1985م، الجزائر، ط1، ص. 48.

[2] أبو اليقظان، شعور الأمة نائم، فماذا ينبه ؟ ،في جريدة وادي ميزاب، ع 42 ،29 محرم 1342هـ ـ 29جويلية 1927م.

[3] صالح خرفي / الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص.12.

[4] المرجع نفسه، ص. 13.

[5] عبد الرشيد زروقة ،جهاد ابن باديس ،دار الشهاب، الجزائر، 1999م، ص.66.

[6] محمد الطاهر فضلاء ،الإمام الرائد البشير الإبراهيمي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1967م، ص 164.

[7] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص. 126ـ.

[8] محمد البشير الإبراهيمي، في البصائر، العدد الثالث، السلسة الثانية، 1947م، ص.1.

[9] نورالدين ثنيو، الإجماع السياسي في تجربة ابن باديس، موقع ابن باديس ، 19ـ 11ـ 2014م.

[10] القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة، ص2.

[11] الشهاب ،ج3، م7، غرة ذي القعدة 1394هـ ـ مارس 1931.

[12] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ص. 114.

[13] الشهاب، ج8، م12، شعبان 1355هـ ـ نوفمبر 1936م.

[14] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ص.112.

[15] الشهاب، ج8، م13، شعبان 1356هـ، أكتوبر 1937م.

[16] الصراط السوي، ع15، 1352هـ .

[17] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1982م، ص.139.

[18] الشهاب، ج9، م7، جمادى الأولى 1350هـ، سبتمبر 1931م.

[19] الشهاب، ج1، م12، أبريل 1936م.

[20] عبدالرحمن شيبان ،آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ،"ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1406هـ ـ 1985م، ص.14ـ15.

[21] محمد البشير الإبراهيمي، في الشهاب، ج5م5، جوان 1929، ص213ـ.

[22] المصدر نفسه.

[23] المصدر نفسه، 15

[24] المصدر نفسه.

[25] المصدر نفسه، ص. 214.

[26] المصدر نفسه.

[27] محمد البشير الإبراهيمي، في الشهاب، ج9، م9، أوت 1933م، ص 391.

[28] المصدر نفسه، ص392.

[29] المصدر نفسه.

[30] محمد البشير الإبراهيمي، في الشهاب، ج6، م5، جويلية 1929م، ص 272.

[31] محمد البشير الإبراهيمي، ج9، م9، أوت 1939م، ص 393.

[32] المصدر نفسه، ص 394.

[33] محمد البشير الإبراهيمي، في الشهاب، ج 9 م9، أوت 1933م، ص 392.

[34] محمد البشير الإبراهيمي، في الشهاب، ج6 م5، جويلية 1929، ص 273.

[35] محمد البشير الإبراهيمي، في الشهاب، ج9 م9، أوت 1933م، ص 396.

[36] محمد البشير الإبراهيمي، في الشهاب، ج6 م5، جويلية 1929م، 275ـ 276.

[37] عيون البصائر، ج2، ص 292.

[38] آثار مححمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص.116ـ117.

[39] جريدة السنة، العدد الثاني.

[40] الشهاب، ع 85، م 2، ص. 859.

[41] م.س.، ع 157، م 4، ص. 159.

[42] م.س.، ج 8، م 13، أكتوبر 1937، ص. 376.

[43] م.س، ج 9، م 13، نوفمبر 1937، ص. 415-416.

[44] م.س.، ج 8، م 7، أوت 1931، ص. 525.

[45] م.س.، ج 10، م 7، أكتوبر 1931، ص. 629.

[46] م.س.، ج 4، م 8، أفريل 1932، ص. 217.

[47] م.س.، ج 9، م 10، أوت 1937، ص. 411.

[48] م.س.، ج 1، م 11، أفريل 1935، ص. 57-58.

[49] م.س.، ج 3، م 11، جوان 1935، ص. 177.

[50] م.س.، ج 1، م 13، مارس 1937، ص. 39.